دلائل الاعجاز التربوي لآيات الحج في القرآن الكريم

م.د أسماء محمد عباس

T.Dr. Asmaa Muhammad Abbas

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

Department of Religious Education and Islamic Studies

asmaa.ad509@gmail.com

الملخص

يتحدث هذا البحث عن الإعجاز التربوي. لآيات الحج في القرآن الكريم، وما حباه الله تعالى من خصائص فريدة جعلت لهذا الركن الأثر الفعال في تغيير حياة المسلم وتعديل إنماط حياتهم إلى ما هو أفضل في العقيدة، والأخلاق، والقيم، والمساواة، والسلوك. الفردي والجماعي، ولم يقتصر على الفرد أو شعب خاص، بل كان أثره عاما لكل العالمين كما هي معجزة القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية: الإعجاز التربوي. آيات الحج مقاصد الحج.

Abstract

This research talks about the educational miracle. The verses of Hajj in the Holy Qur'an, and the unique characteristics endowed by God Almighty, made this pillar an effective influence in changing the lives of Muslims and adjusting their lifestyles to what is better in belief, morals, values, equality, and behavior. Individual and collective, and it was not limited to the individual or a private people, but rather had a general impact on all worlds, as is the miracle of the Noble Qur'an.

Keywords: educational miracle. Hajj verses Hajj purposes.

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد: القرآن الكريم كتاب بيان قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩، ففيه بيان فرائض هذه الأمة وتكاليفها. ونظم حياتها وأحكام شريعتها فيما بينها وبين الله، وفيما بينهما، وعندما يعرض قضية من قضايا الشريعة لا يعرضها مجرد عن غيرها من قضايا الشريعة الأخرى، فالإسلام شامل لكل مناحي الحياة، ولذلك عندما يأمر سبحانه أو ينهى عن نهى، يصاحبه التوجيهات وإرشادات قرآنية، لبناء صرح الإسلام كاملاً على أن يكون توجيه مستقلا عن اخر، فرض الله سبحانه وتعالى الحج على الأمة الإسلامية وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وله منافع ومقاصد ووقفات إصلاحية للنفس البشرية بشكل خاص، والأمة الإسلامية بشكل عام، وهي لا تنفصل فيه الشعائر التعبدية عن المشاعر القلبية، ولا عن التشريعات التنظيمية، ولا يستقيم ولا يكمل إلا بأن يشمل الدنيا والآخرة ،و شؤون القلب، والعلاقات الاجتماعية. فجاء هذا البحث بيانا. آيات الحج في القرآن الكريم بنظرة اعجازية تربوية شاملة على أنه ركن من أركان بناء الفرد المسلم، والأمة الإسلامية من خلال الآيات التي وردت في شعائر الحج مع مراعاة التوجيهات التي حول هذه الآيات لكي يخرج بنظره شاملة لموضوع: (دلائل الإعجاز التربوي لآيات الحج في القرآن الكريم).

أهمية الدراسة:

وتبرز أهمية الدراسة من خلال:

١. إبراز دور الحج في توحيد صفوف الأمة الإسلامية، وأثره في دراسة هموم الأمة ومشاكلها والعمل على حلها عالمياً .

٢. ما يميز الحج بإعجازه القرأني الذي لا يضاهيه تشريع وضعي في توحيد الأمة الإسلامية وجمعها على قلب رجل واحد .

٣. القرآن هو الخطاب العالمي الأممي المتفرد بصلاح البشرية وسعادتها في معاشها

٤. إن الاعجاز التشريعي يتضمن التشريعات المختلفة في: العبادات، والمعاملات، والأخلاق، وأنه نظام شامل لجميع أمور الحياة، ومناسب لكل زمان ومكان .

أسباب الاختيار:

بحسب اطلاعي المتواضع إن هذا الجانب الذي يتناوله البحث قد قل الحديث عنه، فأردت أن أساهم بجمع ما تناثر عن هذا الموضوع حتى يكون في مكان واحد فجهدي في هذا البحث هو جمع للمتفرق والمتناثر من أقوال من أقوال السلف الصالح وعلمائنا الاجلاء، وترتيبها في مباحث حتى يسهل الاطلاع عليها والاستفادة منها بإذن الله تعالى، واتبعت في هذا المنهج الاستقرائي الاستنباطي في رسم وتحديد معالم هذا البحث. وقد جاءت مباحثه عن النحو التالي.

المبحث الأول: التعريف بمفردات البحث، والمبحث الثاني: آيات الحج وفضائله وحِكَم مشروعيته، والمبحث الثالث: مقاصد الحج وبعض النماذج الاعجازية لهذه الفريضة، ثم ذيلت هذا البحث بخاتمة تضمنت اهم النتائج التي توصلت اليها الباحثة، وأسال الله تعالى ان يكون عملي هذا نافعاً ولوجهه خالصاً، ولا يجعل لاحد فيه شيئاً وان ينفع به ، آمين

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المبحث الاول
التعريف بمفردات البحث

المطلب الأول: بيان معنى الاعجاز والمعجزة

اولا: الاعجاز لغةً: هو الفوت والسبق، ويقال عن أعجزني فلان أي فاتني. والتعجيز هو التثبيط ومنه قوله تعالى والذين سعوا في آياتنا معاجزين. بمعنى ظانين إنهم يعجزوننا لأنهم ظنوا أنهم لا يبعثون وإنه أي جنة ولا نار[1].

ثانياً: اصطلاحاً: لقد تعددت آراء العلماء في التعريف الاصطلاحي للإعجاز. فنذكر منها (المراد من قولنا إعجاز القرآن كونه أمرا خارقا للعادة لم يستطيع أحد معارضته برغم تصدي الناس له)[2]، وقد أثبت بعض العلماء الإعجاز بشيئين، وهما ضعف قدرة الإنسانية في محاولة المعجزة ومزاولتها على شدة الإنسان واتصال غايته، ثم استمرار هذا الضعف على التراخي الزمن وتقدمه، فكأن العالم كله في العجز إنسان واحد ليس له غير مدته المحدودة بالغة ما بلغت[3].

متى ظهرت كلمة الاعجاز؟ مصطلح الاعجاز لم يكن معروفا في عهد النبوة والصحابة وقد عرف فيما بعد، و لم يذكر في القرآن الكريم مصطلح الإعجاز بل كانت كلمة تقوم مقامها وهي الآية وهذا ما ورد كثيرا في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ الإسراء: **٥٩**، وقال تعالى:﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ تِسۡعَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ فَسۡـَٔلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِذۡ جَآءَهُمۡ فَقَالَ لَهُۥ

(١) لسان العرب لابن منظور: ٣/ ٢٨١٦. انظر: المفردات في غريب القرآن، الاصفهاني: ٣٢٢.

(٢) فكرة إعجاز القرآن الكريم من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر نعيم الحمصي: ٩.

(٣) اعجاز القران الكريم والبلاغة النبوي، مصطفى صادق الرافعي: ١٣٩.

فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴾ الإسراء: ١٠١ وقوله: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ العنكبوت: ٥٠ - ٥١، فالآية والآيات هي التي عبر عنها القرآن الكريم بالمعجزة. ولم يظهر هذا المصطلح إلا في القرن الثاني الهجري، والسبب ظهور المتكلمين الذين كانوا يدافعون عن القرآن العظيم ويردون اباطيل الملاحدة والزنادقة[١].

العجزة لغة: العَجُز بضمِّ الجيم: مؤخر الشَّيء، وجمعه أعجاز، والعَجْزُ: الضَّعْفُ، وأعجزه الشيء، فاته، وعَجَّزته تعجيزاً ثبَّطته ونسبته الى العجز[٢]، والعجز أصله التأخَّر عن الشيء، وحصوله عند عجز الامر، أي مؤخره، وصار في التعاريف اسماً للقُصور عن فعل الشَّيء، وهو ضد القدرة[٣].فالعجز هو الضعف والقصور عن فعل الشيء وهو المعنى المراد هنا.

واما في الاصطلاح: كما عرفها صاحب الاتقان بقوله: (اعلم إن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة. وهي أما حسية، وأما عقلية)[٤].

وإعجاز القرآن الكريم المراد به عجز الإنس والجن عن معارضته ومجاراته والإيتان بمثل ما اشتمل عليه من النظم والأخبار عن المغيبات وشرائعه، وبيّن صاحب المناهل إن المقصود من المعجزة هو لازمها فيقول موضحا ذلك (ولكن التعجيز المذكور ليس المقصود لذاته بل المقصود لازمه، وهو إظهار إن هذا

(١) انظر: المصدر نفسه: ٢٨.
(٢) انظر: لسان العرب ابن منظور: ٢٨١٦/٣-٢٨١٧، القاموس المحيط: ٦٦٣.
(٣) انظر: المفردات الراغب الاصفهاني، باب عجز: ٥٤٧.
(٤) السيوطي: ٢/٤.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الكتاب حق، وإن الرسول ﷺ الذي جاء به رسول صدق وكذلك الشأن في كل معجزات الأنبياء ليس المقصود بها تعجيز الخلق لذات التعجيز ولكن للأزمة وهو دلالتها على أنهم صادقون فيما يبلغون عن الله فينتقل الناس من الشعور بعجزهم إزاء المعجزات إلى شعورهم وإيمانهم بأنها صادرة عن الإله القادر لحكمة عالية وهي إرشادهم إلى تصديق من جاء بها ليسعدوا باتباعه في الدنيا والآخرة)[1]، ومن المتأخرين، فقد عرفه دكتور فضل حسن عباس :(بأنها كل ما يدل على تصديق الله تعالى. للمدعي في دعواه الرسالة وهي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه. ليصدقه المرسل إليه)[2].

مما سبق نعرف المعجزة وهو: ما أيده الله تعالى به رسوله من الخوارق الحسية أو العقلية. إظهارا لصدقهم وتقوية حجتهم. ونصرة لدعوى لدعوتهم، حتى يتيقن الناس من رسالاتهم و يهتدوا إلى طريق الحق.

اما التربية في اللغة والاصطلاح:

فورد في لسان العرب على إنها(ربا يربو، أي نما وزاد) كما ذكرت في القرآن الكريم فإذا أنزلنا عليها الماء. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ﴾ الحج: ٥، بمعنى نمت وازدادت لما تداخل فيه الماء والنبات، وكلمة التربية لها صلة بكلمة الرْب، وقال إبن الأثير الرب بمعنى التربية كانوا يربون المتعلمين بصغار العلوم قبل كبارهم[3].

اصطلاحاً: (هِيَ تَبْلِيغ الشَّيْء إِلَى كَمَاله شَيْئا فَشَيْئًا)[4]، وقد وردت تعاريف كثيرة ولم أجد الحاجة لذكرها كونها بعيدة عن الفكرة الأساسية للبحث.

الحج لغةً: هو القصد، وكل قصد حج، واشتققت الحجة من هذا، لأنها

(١) مناهل العرفان، الزرقاني ٢/٣٣١.
(٢) إعجاز القرآن الكريم: ٢١.
(٣) انظر: ابن منظور دار صادر بيروت: ١١/٤٠٥.
(٤) الكليات للكفوي ت عدنان درويش الرسالة بيروت ١/٣١٢.

تقصد، او بها يقصد الحق المطلوب، وقيل: ان الحج هو القصد مطلقا، او كثرة القصد الى من تعظمه[١]، قال ابن فارس: (اختص بهذا الاسم، القصد إلى بيت الله الحرام للنّسك)[٢].

اصطلاحاً: قال ابن قدامة: (اسم لأفعال مخصوصة)[٣]، وعرفه اخرون: (اسم لأفعال مخصوصة في زمن مخصوص ومكان مخصوص على وجه مخصوص)[٤]، وجاء في المفردات:(خض في تعاريف الشرع بقصد بيت الله الحرام إقامة النسك)[٥]، ومن مجمل هذه التعاريف يمكن أن يقال: هو قصد بيت الله الحرام تعبداً لله تعالى لأداء افعال مخصوصة في زمن مخصوص.

(١) انظر: لسان العرب ابن منظور: ٢/٢٢٦.
(٢) معجم مقايس اللغة ٢/٢٩.
(٣) المغني لابن قدامة: ٥/٥.
(٤) الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري: ١/٣٢٤.
(٥) الراغب الاصفهاني كتاب الحاء، ص ٢٠٧.

المبحث الثاني
آيات الحج وفضائله وحِكم مشروعيته

المطلب الاول: الحج في الكتاب والسنة

الحج ركن من أركان الإسلام وفرض على من استطاع إليه سبيلا، ورغب الشارع وحث على فعله ودعا إلى ذلك بأساليب متنوعة، فالقرآن الكريم والسنة النبوية، يرشدان مسلم إلى الحج. امتثالاً لأمر الله تعالى وأداء حقه وتصديقا بكتابه واتباعاً لسنتي نبينا ﷺ، وتطلعا إلى ما أعده الله سبحانه وتعالى لمن قصد بيته الحرام، فقد جاءت آيات كثيرة فيها التصريح بالحج وشعائره وسنورد بعض منها.

أولا: قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٥٨،

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وقوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ البقرة: جزء من آية ١٨٩، وقال تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ البقرة: ١٩٦ - ١٩٨، وقوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٧، و ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ التوبة: ٣ ، و﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ الحج: ٢٧ - ٢٨، وهناك آيات أخرى ذكرت مناسك الحج، وجاء في السنة النبوية، أحاديث كثيرة للترغيب في الحج المبرور، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «بُنِيَ الإِسْلاَمُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لاَ

إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»[١]، وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ، عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ، لَا قِتَالَ فِيهِ: الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ»[٢].

المطلب الثاني: فضائل الحج وحكمة مشروعيته

للحج فضائل كثيرة سنوردها باختصار:

١. الحجُّ من أفضَلِ الأعمالِ عندَ الله تعالى: عن أبي هريرة ﷺ قال سُئلَ النبيﷺ: أيُّ الأعمالِ أفضَلُ؟ قال: إيمانٌ باللهِ ورسولِه. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال جهادٌ في سبيلِ اللهِ. قيل: ثمَّ ماذا؟ قال: حجٌّ مبرورٌ))[٣].

٢. الحجُّ من أسبابِ مغفرةِ الذُّنوبِ: عن أبي هريرة ﷺ قال: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: ((من حجَّ للهِ فلم يرفُثْ ولم يَفْسُقْ، رجَع كيومَ وَلَدَتْه أُمُّه))[٤].

٣. الحجُّ المبرورُ[٥] جزاؤُه الجنَّةُ: عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: ((العُمْرَةُ إلى العُمْرَةِ كفَّارةٌ لِما بينهما، والحجُّ المبرورُ ليس له جَزاءٌ إلَّا الجنَّةُ))[٦].

٤. الحجُّ يَهْدِمُ ما كان قَبْلَه: عن عبد اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((أمَا عَلِمْتَ أنَّ الإِسْلامَ يهدِمُ ما كان قَبْلَه، وأنَّ الهجرةَ تهدِمُ ما كان قبْلَها،

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الإِيمَانِ، باب قول النبي: (بني الإسلام على خمس...): ١/ ١١، برقم: ٨.

(٢) سنن ابن ماجه، كتاب المناسك باب الحج جهاد النساء: ٢/ ٩٦٨، برقم: ٢٩٠١.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ٢/ ١٣٣، برقم: ١٥١٩.

(٤) رواه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ٢/ ١٣٣، برقم: ١٥٢١.

(٥) قال الحافظ ابن رجب: (الحج المبرور قيل المقبول وقيل: الذي لم يخالطه اثم، وقيل: الخالص) أنظر: فتح الباري: ١/ ٨٥.

(٦) رواه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها، ٣ / ٢، برقم: ١٧٧٣.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

وأنَّ الحجَّ يهدِمُ ما كان قبْلَه))[1].

٥. المتابَعَةُ بين الحَجِّ والعُمْرَة تنفي الفَقْرَ والذُّنوبَ: عن عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: ((تابِعوا بين الحَجِّ والعُمْرَة؛ فإنَّهما ينفيانِ الفقرَ والذُّنوبَ كما ينفي الكِيرُ خبَثَ الحديدِ والذَّهَبِ والفِضَّةِ))[2].

من حِكَم مشروعيَّةِ الحَجِّ:

١. تحقيقُ توحيدِ اللهِ تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ الحج: ٢٦ – ٢٧، عن جابر ﷺ أنَّه قال في بيانِ حَجَّتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلام: (فأهلَّ بالتوحيدِ :[3]لبَّيكَ اللهُمَّ لبَّيك، لبَّيْك لا شريكَ لك لبَّيْك؛ إنَّ الحمدَ والنِّعمَةَ لك والمُلْك، لا شريكَ لك)[4].

٢. إظهارُ الافتقارِ إلى اللهِ سبحانه: فالحاجُّ يبتعِدُ عن الترفُّهِ والتزيُّنِ، ويلبَسُ ثيابَ الإحرامِ؛ متجرِّدًا عن الدنيا وزينَتِها، فيُظْهِر عَجْزَه، ومسكَنَتَه، ويكون في أثناءِ المناسك ضارعًا لربِّه عزَّ وجَلَّ، مفتقرًا إليه، ذليلاً بين يديه، مُنقادًا بطواعِيَةٍ لأوامِرِه، مجتَنِبًا لنواهِيه سبحانه، سواءٌ عَلِمَ حِكْمَتَها أم لم يعلَمْ. قال السعدي: والمقصود من الحج: الذل والانكسار لله، والتقرب اليه بما أمكن من القربات، والتنزه عن مقارفة السيئات؛ فإنه بذلك يكون مبروراً والمبرور ليس له جزاء الا الجنة، وهذه الأشياء وان كانت ممنوعة في

(١) رواه مسلم، كِتَابُ الْإِيمَانَ، باب كون المسلم يهدم ما كان قبله وكذا، ١/ ١١٢، برقم: ١٩٢.

(٢) رواه الترمذي: ٨١٠، وقال الترمذي حسن صحيح غريب، وصحح اسناده أحمد شاكر في تحقيق مسند أحمد: ٥/ ٢٤٤.

(٣) قال النووي: وفيه إشارة الى مخالفة ما كانت الجاهلية تقوله في تلبيتها باللفظ الشرك. انظر: شرح النووي على مسلم: ٨/ ١٧٤.

(٤) رواه مسلم، كِتَابُ الحَجِّ، باب التلبية وصفتها ووقتها، ٢/ ٨٤٢، برقم: ١٢١٨.

كل مكان وزمان، فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج[١].

٣. تحقيقُ التقوى لله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧، قال ابنُ جرير: (وتزوَّدوا من أقواتِكم ما فيه بلاغُكم إلى أداءِ فَرْضِ ربكم عليكم؛ في حجِّكم ومناسككم؛ فإنَّه لا بِرَّ لله جلَّ ثناؤه في تَرْكِكم التزوُّدَ لأنفُسِكم ومسألَتِكم النَّاسَ، ولا في تضييعِ أقواتِكم وإفسادها، ولكن البرَّ في تقوى ربِّكم؛ باجتناب ما نهاكم عنه في سَفَرِكم لحَجِّكم، وفِعْل ما أمركم به، فإنَّه خيرُ التزوُّد، فمنه تزودوا)[٢]، ومما تتحقَّقُ به التقوى في الحجِّ، الابتعادُ عن محظوراتِ الإحرام.

٤. إقامَةُ ذِكْرِ اللهِ عزَّ وجَلَّ: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴾ البقرة: ١٩٨ – ٢٠٠.

٥. تهذيبُ النَّفْسِ البشريَّةِ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧. عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعْتُ النبيَّ ﷺ يقول: ((من حجَّ لله، فلم يرْفُثْ ولم يفْسُقْ، رجع كيومَ وَلَدَتْه أمُّه)). قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ﴾ البقرة: ١٩٧، أي: يجب

(١) تفسير السعدي: ٩٢.
(٢) الجامع البيان: ٤/ ١٩١.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

أن تعظِّموا الإحرامَ بالحج، وخصوصًا الواقعَ في أشهُرِه، وتصونوه عن كل ما يُفسِده أو ينقصه، من الرفث: وهو الجماعُ ومُقَدِّماته الفعلية والقوليَّة، خصوصًا عند النساء بحضرتهن، والفُسوقِ: وهو جميع المعاصي، ومنها محظوراتُ الإحرام، والجدالِ: وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة؛ لكونها تثير الشَّرَّ؛ وتوقع العداوة... واعلم أنَّه لا يَتِمُّ التقرُّب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامِرَ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ البقرة: ١٩٧، أتى بـ(مِن) للتنصيصِ على العموم، فكلُّ خيرٍ وقُربةٍ وعبادة، داخلٌ في ذلك، أي: فإنَّ الله به عليم، وهذا يتضمَّن غاية الحثِّ على أفعال الخير، وخصوصًا في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة، فإنَّه ينبغي تدارُكُ ما أمكن تدارُكُه فيها؛ من صلاةٍ، وصيامٍ، وصدقةٍ، وطوافٍ، وإحسانٍ قوليٍّ وفعليٍّ)[1].

٦. في الحَجِّ تذكيرٌ بالآخِرَة ووقوفِ العبادِ بين يَدَيِ اللهِ تعالى يومَ القيامَةِ: فالمشاعِرُ تجمع النَّاسَ من مختَلِفِ الأجناسِ في زيٍّ واحدٍ؛ مكشوفي الرُّؤوس، يلبُّون دعوةَ الخالق عزَّ وجَلَّ، وهذا المشهَدُ يُشْبِهُ وقوفَهم بين يديه سبحانه يومَ القيامة في صعيدٍ واحدٍ حفاةً عراةً غُرْلًا خائفينَ وَجِلِينَ مُشْفِقينَ؛ وذلك مما يبعَثُ في نَفْسِ الحاجِّ خَوْفَ اللهِ ومراقَبَتَه والإخلاصَ له في العَمَلِ.

٧. تربيةُ الأُمَّةِ على معاني الوَحْدَةِ الصَّحيحةِ: ففي الحجِّ تختفي الفوارِقُ بين النَّاسِ من الغنى والفَقْرِ، والجِنْسِ واللَّوْنِ، وغيرِ ذلك، وتتوحَّد وِجْهَتُهم نحو خالقٍ واحدٍ، وبلباسٍ واحدٍ، يؤدُّون نفْسَ الأعمالِ في زمنٍ واحد ومكانٍ واحدٍ، بالإضافة إلى ما يكون بين الحجيجِ مِن مظاهِرِ التعاوُنِ على البِرِّ والتقوى،

(١) تفسير السعدي: ١/ ٩١-٩٢.

والتَّواصي بالحقِّ، والتواصي بالصَّبْر.

٨. أنَّ أداءَ فريضةِ الحَجِّ فيه شكرٌ لنِعْمَةِ المالِ وسلامَةِ البَدَنِ: ففي الحجِّ شُكر هاتين النِّعْمَتينِ العظيمتينِ؛ حيث يُجْهِدُ الإنسانُ نفسَه، ويُنفِقُ مالَه في التقرُّبِ إلى الله تبارك وتعالى[١]. إلى غير ذلك من الحِكَم والفوائِدِ والمنافِعِ.

المبحث الثالث
مقاصد الحج ونماذج من إعجازه التربوي

المطلب الأول: مقاصد الحج

المقصد الأول: اخلاص العبادة لله وحده، وتحقيق التوحيد. وهو المقصد الأعلى من مقاصد الحج وقد أمر الله وتعالى ببناء البيت الا من أجل تحقيق التوحيد. قال سبحانه وتعالى الحج ٢٦ قال ابن كثير: (هَذَا فِيهِ تَقْرِيعٌ وَتَوْبِيخٌ لِمَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ مِنْ قُرَيْشٍ فِي الْبُقْعَةِ الَّتِي أُسِّسَتْ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ عَلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فَذَكَرَ تَعَالَى أَنَّهُ بَوَّأَ إِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ، أَيْ أَرْشَدَهُ إِلَيْهِ وَسَلَّمَهُ لَهُ وَأَذِنَ لَهُ فِي بِنَائِهِ)[٢]. فقوله لا تشرك من شيئا، أي لا تجعل في العبادة لي شريكا ولا تشرك معي غرضا آخر في بناء البيت[٣]، ليكون خالصا الذين يعبدون الله وحده[٤] تطهير البيت هو تنزيه البيت عن من يعبد الصنم كون إن عمالقة كانت لهم أصنام في البيت الحرام وحوله قبل أن يبني إبراهيم عليه. السلام، وهذا أمر بإظهار التوحيد فيه[٥]. وذهب أغلب المفسرين على تطهير البيت إنما هو تطهير من الشرك والأوثان، وهو قول ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وسعيد

(١) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية: ٢٦ / ١٧ – ٢٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم ٣ / ٢٨٨.

(٣) اللباب في علوم الكتاب: ١٤ / ٦٩.

(٤) انظر: النكت والعيون الماوردي: ٤ /١٧.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ١٢ / ٣٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

بن جبير، وابن زيد، وغيرهم[1]. وشعار الحج هو التلبية لا تخرج عن إعلان توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده وهي لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. والذبح، فهي من مناسك الحج. فهناك ارتباط بين النسك والتوحيد وفيه بيان إن الله تعالى لا يجوز ذبح على اسم غيره من الأصنام أو الأنداد: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ﴾ الحج: ٣٤. ودعاء يوم عرفة فيه شهادة التوحيد وحث النبي على الإكثار منه في هذا اليوم العظيم[2]، لقوله ﷺ: (خير الدعاء يوم عرفة، وأفضل ما قال ما قلت أنا والنبيون من قبلي، لا إله إلا الله)[3]. فالدعاء عبادة عظيمة، وهي من أبرز عبادات الحج، فهو تدريب عملي وتربوي على تضرع والتوسل بالله تعالى، وهكذا فإن سائر المناسك مبنية على العبودية الخالصة واتباع الأمر، واجتناب النواهي.

المقصد الثاني: تطهير النفس من الأخلاق المذمومة. إن الحج بمثابة دورة تدريبية يتخلص فيها المسلم من الأخلاق المذمومة التي ألفها وتساهل في علاجها ودفعها فتراكمت عليه سِنيّ حياته. فهو فرصة للمحاسبة النفس. يتفقد المسلم من خلاله من خلالها نفسه، ويتبع الصفات المذمومة التي علقت به، فيخرجها والصفات الكريمة ينميها، وقد نبه سبحانه وتعالى على أهمية ترك الرذائل في الحج، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ

(١) انظر: جامع البيان الطبري، ١/ ٥٣٩، زاد المسير ابن الجوزي: ١ / ١٤٢، تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢٢٦ / ١.

(٢) انظر: ظاهرة التوحيد في الحج د. سعود الفنيسان مقال مجلة الحرس الوطني العدد ٢٨، ١٤٠٩، ص٢٣.

(٣) صحيح سنن الترمذي كتاب الدعوات باب في دعاء يوم عرفة. رقم ٣٥٨٥.

فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧ والمراد بالرفث: الجماع[١]، أو الإفحاش للمرأة في الكلام والتعريض بذكر الجماع[٢]، أو للفحش واللغو في الكلام[٣]، وأما الفسوق ففيه عدة أقوال منها المعاصي كلها[٤] إنه ما عصي الله به في الإحرام مما نهى عنه فيه من قتل صيد وأخذ شعره وغيرها، وقيل السُباب[٥]، وقد أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما، قوله ﷺ: ((سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ)) [٦]. وقيل التنابز بالألقاب لقوله تعالى: قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ الحجرات: ١١[٧]، أما الجدال الوارد في الآية قيل هو المحاورة، الصاحب حتى يفضه[٨]، وقيل في السُباب والمنازعة والمراء والخصومات[٩]، وقيل المراء او الغضب[١٠].

وذهب الطبري والقرطبي[١١] على أن

(١) انظر: جامع البيان: ٢/٢٦٥-٢٦٧ ، تفسير ابن كثير: ١/٣١١-٣١٠.
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ٢/٢٧٣-٢٦٤، زاد المسير ابن الجوزي: ١/٢١١.
(٣) زاد المسير، ابن الجوزي: ١/٢١١.
(٤) جامع البيان: ٢/ -٢٦٨ ٢٦٩، تفسير ابن كثير: ١ / ٣١١.
(٥) أنظر: المصدر السابق.
(٦) البخاري كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، ١/ ١٩، برقم ٤٨، صحيح مسلم كتاب الإمام، باب قول النبي سباب المسلم فسوق، ١/ ٨١، برقم ٦٤.
(٧) انظر: الجامع البيان: ٢ / ٢٧٠، تفسير بن كثير: ١/ ٣١١ ، اللباب ٣/ ٤٠١.
(٨) انظر: الجامع البيان٢٧١-٢٧٠ /٢، زاد المسير ابن الجوزي: ١/٢١١.
(٩) انظر: المصدر نفسه.
(١٠) تفسير ابن كثير: ١ / ٣١٢.
(١١) الجامع البيان: ٢/٢٧٤-٢٧٥، الجامع

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

المراد به إنهم كانوا يقفون مواقف مختلفة، وكل يقول ما فعلته، وهو الصواب فقال لا جدال في الحج أي استقر أمر الحج على ما فعله الرسول ﷺ فلا اختلاف فيه من بعد ذلك فالآية تتناول جميع هذه المعاني فيكون المحرم منهيا عن السباب الممرات والفسوق وسائل المعاصي فتضمنت الآية الأمر بحفظ اللسان والفرج من كل محظور من الفسوق والمعاصي، وإن كانت محظورة قبل الإحرام فإن الله نص على تحريمها تعظيما لحرمة الإحرام، ولأن المعاصي حال الإحرام أعظم وأكبر عقابا من غيره[1].

وذكر النبي ﷺ أن الحج المبرور الذي يترتب عليه مغفرة الذنوب لا يحصل إلا بترك الرفث والفسوق فقال النبي ﷺ من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه[2].

المقصد الثالث: تزكية النفس للوصول الى حقيقة التقوى. إن الحج كما ذكرنا الهدف منه تطهير النفس من الأخلاق الذميمة، فإنه يهدف إلى تزكية النفس وتهذيبها بالأخلاق والصفات الحميدة، وهذا يدل على ارتباط التزكية بالتطهير، فبعد ان نهى الله سبحانه وتعالى عن الرفث والفسوق والجدال قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧، ففي الآية حث على البر والتقوى في الأخلاق مكان الفسوق والجدال[3]، فزاد التقوى هو خير زاد لأنه زاد الموصل

لأحكام القرآن: ٢/ ٤١٠.

(١) انظر: أحكام القرآن للجصاص: ١/ ٣٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الحج باب قول الله تعالى فلا رفث ولا فسوق الرقم ١٨١٩.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ٢/ ٤١١.

إلى النجاة في الآخرة، وإلى رضوان الله سبحانه وتعالى والنعيم المقيم منزلة التقوى هو المقصد الأعظم من مقاصد الحج، بل من مقاصد العبادات كلها، كما قارن بين العبادة والتقوى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ٢١، وقرن بين الصلاة والتقوى إلى قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ طه: ١٣٢، وقرن بين الصيام والتقوى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣، وفي الزكاة: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأعراف: ١٥٦، وهذا الربط الرباني الدائم يدل على مزية العبادة في الإسلام، فهي ليست مجرد طقوس وحركات صماء، لا تأثير لها على سلوك الإنسان ومعاملاتهم، بل هي عبادة حية لها تأثير إيجابي في تزكية النفس، وتطهير القلوب، وإرهاف المشاعر، قال إبن رجب: (وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره، وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه، وسخطه، وعقابه. وقاية تقيه من ذلك وهو فعل الطاعات واجتناب معاصيه)[1]، وبهذا يتبين أن الوصول إلى مرتبة التقوى في الحج. يكون بإخلاص النية لله تعالى، وذلك بأن يكون الباعث على أداء هذا النسك وطاعة الله تعالى وفعل ما أمر به، وإن يكون خروج المسلم لله تعالى امتثالاً لقوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ ﴾ البقرة: ١٩٦، عبادة خالصة لله وحده ليس لأحد فيها نصيب، وكذلك باتباع

(١) جامع العلوم والحكم، ١٥٨.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

السنة النبوية وفق ما شرعه النبي ﷺ لأمته ووفق هديه ﷺ في حجته. قال لتأخذوا عني مناسككم[1]، ويصل الحاج الى مرتبة التقوى بترك المحرمات والمنكرات والرذائل، وهذا ما تم ذكره في المقصد السابق، ثم ختم تعالى الآية بالأمر بالتقوى فقال: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ البقرة: ١٩٧، كما ختم الآية السابقة إتمام الحج والعمرة بالتقوى، فقال تعالى: ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ البقرة: ١٩٦، وللبقاعي استنباط رائع في مناسبة ختم الآيات بالتقوى ولما كثرت الأوامر في هذه الآيات وكان لا يحمل على امتثالها إلا بالتقوى أكثر الله سبحانه وتعالى فيها من الأمر فيها، ولما كان امتثال ما ليس بمعقول المعنى من عند قوله وأتموا الحج والعمرة ﴿ وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُواْ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ البقرة: ١٩٦، شديد عن النفس جماحها من جميع الاوامر ناسب اقترانها بالتهديد)[2].

المقصد الرابع: تعميق الإتباع لرسول

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا برقم ١٢٩٧.

(٢) نظم الدرر، البقاعي: ١/ ٣٧٢.

الله ﷺ.

يحرص الحاج كل الحرص على أن يكون حجة موافقا للسنة، ويسأل عن المأمورات والمنهيات في الحج تأسيا لقوله ﷺ في حديث جابر في صحيح مسلم لتأخذ عني مناسككم. ولهذا نجد الحاج يسأل بدقة وهي تحرى بصدق أن تكون أعماله موافقة لهديه ﷺ، ولهذا فمن المقاصد العظيمة والفوائد الجليلة هي أن تكون حياة المسلم بعد رجوعه من أداء الحج كلها موافقة للشرع كما كان في الحج في فيتحر السنة في عباداته كافة، ويحذر من اتباع أهل البدع والاهواء ما أنزل الله بها من سلطان.

المقصد الخامس: التذكير بحال الأنبياء وسير رسل الله صلوات الله عليهم.

الحج مليء بالمواقف والمشاعر والشعائر العظيمة التي تذكر المؤمنين بأنبياء الله، فهذه الأرض المباركة أكرمها الله تعالى بالتنقل فيها من مشعر الى مشعر، من منسك إلى منسك، وهذه المناسك قد خطاها قبلنا رسل الله وأنبيائه، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ قَالَ: «لَقَدْ سَلَكَ فَجَّ الرَّوْحَاءَ سَبْعُونَ نَبِيًّا حُجَّاجًا عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، وَلَقَدْ صَلَّى فِي مَسْجِدِ الْخَيْفِ سَبْعُونَ نَبِيًّا»[1]. فقد جاء إلى هذه الأرض صفوة عباد الله تعالى، فيستشعر الحاج هذه المزية، ويتعمق ارتباطه بالأنبياء عليهم السلام فيسير على منهجهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾ الأنعام: جزء من آية ٩٠، فيتذكير الحاج في كل منسك مواقف الانبياء وقصصهم ويستلهم منها العبرة والعظة، ففي بيت الله الحرام يتذكر إبراهيم عليه السلام وإسماعيل اللذان يقاما على بناء البيت ﴿ وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾ البقرة: ١٢٧، وبعد الانتهاء من الطواف يتذكر

(١) رواه الحاكم في المستدرك، باب: وَقَدْ ذَكَرَ الْمُرْسَلِينَ مِنْهُمْ وَهْبُ بْنُ مُنَبِّهٍ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي: ٢/ ٦٥٣، ٤١٦٩.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾ البقرة: ١٢٥، وعند شرب ماء زمزم والسعي بين الصفا والمروة يتذكر قصة هاجر المؤمنة الصادقة المتوكلة على الله، وعنده عرفة تذكر وقوف النبي ﷺ وإبراهيم عليه السلام لقوله ﷺ: «كُونُوا عَلَى مَشَاعِرِكُمْ، فَإِنَّكُمُ الْيَوْمَ عَلَى إِرْثٍ، مِنْ إِرْثِ إِبْرَاهِيمَ»(١).

وعند رمي الجمار تذكر الشيطان الذي عرض عليه إبراهيم عليه السلام ثلاث مرات في ثلاثة مواضع، ورماها بحصيبات، وفي الذبح يتذكر قصة إبراهيم مع ولده إسماعيل عليهما الصلاة والسلام، وبقية الشعائر العظيمة يقوم بها المؤمنون في حجهم لبيت الله الحرام، وإقامة لذكر الله تعالى، فكل هذه الأعمال تذكرهم بالأنبياء فيخرج الحاج من حجه بعبق طيب وذكرى جميلة تربطه بصفوة الخلق أنبياء الله ورسوله مستشعراً سلوكهم وسبيلهم ولزوم منهجهم عليهم صلوات الله عليه(٢).

المطلب الثاني: نماذج من الإعجاز التربوي للحج

أولاً: الحج مدرسة ثقافية تربوية.

- الحج مدرسة روحانية ثقافية فيه تتسع ثقافة الحاج ويزداد اطلاعه من خلال سفره واتصاله مع شعوب العالم، الحج مدرسة تربوية يتدرب بها الحاج على الصعاب والمشاق وتحمل المتاعب ومفارقة الأهل والمال وترك العمل، وهو سياحة الأمة الإسلامية. ففي حديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ائْذَنْ لِي فِي السِّيَاحَةِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ

(١) سنن ابن ماجه: ٢/ ١٠٠١، بر قم: ٣٠١١.

(٢) انظر: مقاصد الحج عبد الرزاق بدر د ط ت ٢٧-٢٨. وايضاً وقفات تربوية من خلال آيات الحج في كتاب الله تعالى دكتور محمد العواجي أستاذ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة د. الطاء ت. من؟ ٧٥ - ٨٢.

سِيَاحَةَ أُمَّتِي الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى»[١].

- الحج جهاد في سبيل الله عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرَى الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أَفَلاَ نُجَاهِدُ؟ قَالَ: «لَكِنَّ أَفْضَلَ الجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ» ويمكن الجمع بين الحديثين ونستنبط منهُ بأن الحج هو جهاد وجهاد هو سياحةً في سبيل الله، فحياة الحاج أشبه بحياة المجاهد من حيث خشونة الحياة والسفر وترك المال والأهل، ويأتي الحاج في شهر ذو الحجه على الحساب القمري فتتغير المواقيت الشهر في فصول السنة ويصبر عليها.

- الحج مدرسة يتعلم فيها الحاج الأخلاق الفاضلة والآداب الراقية فيجتنب. السباب والشتام والسخرية وفاحش القول واللعن والطعن ويرعى ويراعي الأخوة الإسلامية التي تتطلب منه الرحمة والمساعدة والمواساة والتسامح والتآلف ويتعلم فيها كيف يعظم ما عظمه لله تعالى قال تعالى: ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ الحج: ٣٢، هي تدرب فيها الحاج على الأمن والسلامة، فلا يجوز أن يقطع نباتا أو شجرة ولا يصيد حيوان في الحرم لقوله تعالى: ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ المائدة: ٩٦.

- الحج مدرسة تعلم الحاج درسا في العبودية المطلقة والطاعة التامة لله تعالى فيتقلب بين مكة ومنى وعرفات ومزدلفة وغيرها، فهو في طاعة الله تعالى. يستلم لأوامره ويعيش فيها بالمواطن والبقعة المباركة التي عاش فيها الأنبياء.

- الحج مدرسة تعلم الحاج درساً في التخلي عن متاع الدنيا وما فيها. وذلك من خلال خلع مظاهر الزينة والثياب الجميلة وارتداء قطعتين من القماش فقط، عندها يشعر الحاج بالزهد والخشوع والتذلل لله

(١) سنن ابي داود، كِتَاب الجِهَادِ، باب في النهي عن السياحة، ٣/ ٥، برقم: ٢٤٨٦.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

تعالى[١].

ثانياً: الحج وسيلة لوحدة المسلمين.

قال تعالى إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ آل عمران: ٩٦. يقول ابن كثير: (يخبر الله تعالى إن أول بيت وضع للناس أي لعموم الناس لعبادتهم. مسكهم يطوفون به ويصلون إلي هو يعتكفون عنده الذي بكى يعني الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يزعم كل من طائفتي إلى ومن دخله كان آمنا)[٢]، إن بيت الله الحرام هو المركز الإسلامي العالمي إلى قيام الساعة وهو مقر اجتماع العالمي السنوي لكل مسلمين العالم والحج قوة عظيمة يمكن استخدامها لأجل خدمة الدعوة الإسلامية بطريقة مؤثرة بين المسلمين[٣].

وقد بين محمد طاهر الكردي أمرين خطيرين يخافون منه الغرب ويهابون الإسلام وهما الحج الذي هو بمثابة الوحدة الإسلامية التي تجمع كلمتهم وتقوي عزائمهم والخلافة التي يستند إليها ويرتبطون بها وهي مركز سلطانهم ومصدر نفوذهم[٤]. الحج فريضة دينية الكبرى التي تجمع المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها حيث يلتقي فيها من مختلف الأجناس والأشكال والطبقات متجردين من زينة الدنيا تاركين الشهوات والرغبات مستجيبين لنداء لا هي تعالى ودعوتهم نبينا ويلتقي الجموع فوق جبل عرفات وفي منى ومزدلفة والمسجد النبوي على كلمة التوحيد، وهناك يزداد التعارف والتآلف مؤكدين الأخوة

(١) انظر: وقفات تربوية، محمد عبد العزيز: ١٦٩ وما بعدها.

(٢) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير: ١٠٨/١.

(٣) أنظر: مقاصد الحج في القرآن الكريم، عادل بن علي الشدي، مدار الوطن للنشر – الرياض، ط:١، ٢٠١٠م: ٦٣.

(٤) انظر: التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم: ٥/ ٢٣٧.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

والمودة والمحبة و يتناصحون ويتشاورون بينهم استجابة لقول الله تعالى وتعارفوا على وتعاونوا على البر والتقوى المائدة جزء من آية إثنين[١].

ثالثاً: إلغاء الطبقية في الحج.

منهج الإسلام، العدل والمساواة في الطبقية مرفوضة وليس معنى هذا تسود الفوضى في المجتمع، فلا يوجد طبقية ولكن هناك درجات، أي إن لكل إنسان درجته. قال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ الأحقاف: ١٩، يقول الشوكاني في تفسير هذه الآية أي لكل فريق من الفريقين مؤمنين والكافرين من الجن والإنس مراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم ودرجات أهل النار في هذه الآية تذهب سفلا ودرجات أهل الجنة تذهب علوا يوفيهم أعمالهم أي جزاء أعمالهم وهم لا يظلمون أي لا يزداد مسيء ولا ينقص محسن فليوفر كل فريق ما يست معه من خير وشر[٢]، فناس سواسية كلها فضل أحد على أحد إلا بالتقوى والحج ألغي الطبقية فعرفات هي في الحقيقة خصوصية من خصوصيات الإسلام حيث استطاع أن يحط المبدأ الطبقية التي كانت العرب تعيش عليها، كان الناس في الجاهلية يحجون فأكثرهم يذهبون إلى عرفة، وحمس وحدها تقف في مستلفة ولا تذهب لعرفة، وتعتبر ذلك مزينة من م زياتها وهي أرفع. أن تقف مع الناس فجأة الإسلام وحطم هذه المزية بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ البقرة: ١٩٨ فلا طبقية

(١) انظر: مقالات النفيسة في الحج دكتور محمد، موسى الشريف دار الأندلس – جدة ط١، ٢٠٠٠: ص ٢٠٦.

(٢) فتح القدير: ٥ / ٣١.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

في الإسلام، وكذلك لا طبقية في الحج قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ .... ﴾ البقرة: ٢٠٠، فقد أورد الإمام البخاري في صحيحه في بيان أسباب النزول، قَالَ عُرْوَةُ: «كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ، وَالحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ، وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ، يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا، وَتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا، فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا، وَكَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنْ عَرَفَاتٍ، وَيُفِيضُ الحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ»، قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا «أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الحُمْسِ: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ البقرة: ١٩٩، قَالَ: كَانُوا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ، فَدُفِعُوا إِلَى عَرَفَاتٍ»[1]، وقوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ جاء الإسلام ليقول لحمس إنه لا مزية لكم أفيضوا من حيث أفاض الناس. وعلى الجميع يقف في عرفة، وينزل إلى مزدلفة، في مشهد واحد، وفي نفرة واحدة دون أن تتحكموا في الناس الطبقية، فهذا موقف عام لا تمايز بينهم، وهكذا اندمجت قريش مع سائر الناس تلبية لنداء الله عز وجل[2].

رابعاً: الحج يعالج النفوس المريضة.

وضح محمد موسى الشريف في مقال نشر له كيف يعالج الحج النفوس المريضة، فرض الله وتعالى عبادة معنوية محسوسة، وذلك لأن الحياة المادية متغلبة على النفس ومحسوسة وللمحسوسات تغلب على المعنويات فالفرض جاء من جنسه لمقاومته. فالحج إلى بيت الله الحرام الذي فيه السفر وركوب البحر وتعود النفس على تحمل المتاعب والمصاعب

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الوقوف بعرفة، ٢/ ١٦٣، برقم ١٦٦٥.

(٢) انظر: أحكام وأسرار، عبد الحليم محمود: ٤٨.

وترك لباس المخيط من الثياب الفاخرة. والاقتصاد على الثوبين للتستر غير مخيطين، والرضا بما يسر له من الطعام والشراب، وبذلك تتعود النفس على مفارقة الحضارة التي تبنى في النفس حاسية الإقدام والشجاعة وتألف خشونة العيش وقوة العزيمة.

الابتعاد عن فتن الحياة وزخرفتها ولهوها والانصراف إلى العبادة في مكان ليس فيه ما يجري عن الله تعالى، وفي هذا إعجاز تربوي وهو تعويد النفس على الطاعة والإخلاص في العمل وتنظيم الوقت وصرفها في ما ينفع اجتماع الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين مراتبهم بمظهر واحد وعلى نمط واحد ومكان واحد، وبذلك يا محي الغرور من النفس وتشفى من داء التعاظم والكبرياء والرياضة. فالحج بما اشتمل عليه من الأعمال والتكاليف أنجح دواء يعالج النفوس المريضة ويصلح من شأنها، حيث اعتنى الشارع بأمره ورتب على فعله جزاء عظيما وجعله في صف واحد مع الجهاد في سبيل الله ففي صحيح البخاري عن عُمَرُ ﷺ: «شُدُّوا الرِّحَالَ فِي الحَجِّ فَإِنَّهُ أَحَدُ الجِهَادَيْنِ»[1]، وعليه فإن عبادة الحج له آثار نفسية لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الذاريات: ٥٦، يقول الواحدي في بيان معنى الآية ألا لامرهم بعبادتي وادعوهم إليها وقيل أراد المؤمنين منهم[2]، ومن هذه الآية ندرك إن العبادة أمر نفسي وفطري فطرة الله وتعالى التي فطر الناس عليها، وهي من صميم الطبيعة. البشرية لذلك. ترى إنه لا يوجد شيء يبعث الطمأنينة والسكينة في النفس البشرية مثل عبادة الله وحده الذي يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ الرعد: ٢٨، يقول الشوكاني في بيان معنى

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب الحج على الرجل: ٢ / ١٣٣، برقم: ١٥١٦، انظر: مقالات النفيسة في الحج دار الأندلس، جدة ط١، ٢٠٠٠: ٤١٥.
(٢) الوجيز: ١/ ١٠٢٣.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

الآية (أي تسكن وتستأنس بذكر الله تعالى. بألسنتهم كتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير والتوحيد)[١].

ونقل الزجاج عدة معاني لذكر الله منها التوحيد والطاعة ورحمة الله[٢]، فالحج هو طاعة الله تعالى، ومناسكه هي التوحيد وعبودية الله تعالى، ولذلك تطمئن به النفس وتسكن ويتزود الحاج من الروحانية والطمأنينة ما تسكن به النفس.

إن التشريع الإسلامي أفضى على الحاج لونا من الجدية والقدسية لا يزول وجعلته بعيدا عن الغفلة والذهول والعبث. وتشريعاته. دقيقة، ومحكمة كفيلة بأن يبقى الحج عبادة عميقة الأثر في النفس والحياة، ولها أثر تربويا وركن من أركان اصلاح النفس البشرية و وسيلة للتقرب إلى الله عز وجل[٣].

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه وهدايته، كتبت هذه الصفحات، وبعد: في نهاية البحث الذي ذكرت فيه الاعجاز التربوي لآيات الحج وبيان مقاصده ومكانته، توصلت فيه إلى ما يلي:

أولا: عظم مكانة الحج ومنزلته في الدين، وهو عبادة فرضت على الأمة لمن استطاع إليه سبيلا.

ثانيا: للحج فضائل وحكم من مشروعيته.

ثالثاً: من مقاصد الحج إخلاص العبادة لله تعالى، وتحقيق التوحيد. وتطهير النفوس من الأخلاق الذميمة، وتعميق الإتباع لرسول اللهﷺ.

رابعاً: الحج مدرسة في التربية على تعظيم شعائر الله.

خامساً: الحج مدرسة ثقافية تربوية، تربي العبد على العبودية المطلقة، ودرس

(١) فتح القدير: ٣/ ١١٦.
(٢) أنظر: معاني القرآن: ٣/ ١٤٧.
(٣) الأركان أربعة في ضوء الكتاب والسنة أبو الحسن الندوي. دار القلم ، ط١، ١٩٩٩/٢٣٦.

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

في التخلي عن متاع الدنيا وز خرفتها، ووسيلة لوحدة المسلمين على اختلاف أجناسهم وأشكالهم.

سادساً: الحج مدرسة في إلغاء الطبقية ومعالجة النفوس المريضة.

أسأل الله تعالى في ختام هذا البحث أن يكون ما كتبناه حجة لنا لا علينا، وأن ينفع به كاتبهُ، وقارئهُ وكل من أعان على إخراجه، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصـادر والمـراجـع

القرآن الكريم.

١. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، ق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ن: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢. أحكام القرآن، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي (ت: ٣٧٠هـ)، ق: عبد السلام محمد علي شاهين، ن: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

٣. أحكام وأسرار، عبد الحليم محمود دار غريب القاهرة ١٩٩٨.

٤. الأركان أربعة في ضوء الكتاب والسنة أبو الحسن الندوي. دار القلم ، ط١، ١٩٩٩م.

٥. اعجاز القران الكريم والبلاغة النبوي، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ط٩ ، ١٩٧٣م.

٦. إعجاز القرآن الكريم، د. فضل

ISSN: 2075 - 2954 (Print)

حسن عباس، ط١، ١٤١٢هـ، عمان.
٧. التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم، محمد طاهر الكردي، (د.ط.ت).
٨. تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، ق: محمد حسين شمس الدين، ن: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٩ هـ.
٩. تفسير الماوردي = النكت والعيون، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: ٤٥٠هـ)، ق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ن: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.
١٠. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، ق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
١١. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ق: أحمد محمد شاكر، ن: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
١٢. جامع العلوم والحكم، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، ن: دار المعرفة - بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ه.
١٣. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، ق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ن: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
١٤. زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ن: المكتب الإسلامي - بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.
١٥. سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (ت: ٢٧٣هـ)، ق: محمد فؤاد

عبد الباقي، ن: دار الفكر بيروت.
١٦. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ن: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
١٧. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، ق أحمد محمد شاكر ، ن: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط: الثانية، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥م.
١٨. شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الثانية، ١٣٩٢هـ.
١٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ن: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
٢٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، ق: محمد فؤاد عبد الباقي، ن: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٢١. ظاهرة التوحيد في الحج د. سعود الفنيسان مقال مجلة الحرس الوطني العدد ٢٨، ١٤٠٩هـ.
٢٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت: ٧٩٥هـ)، ق: محمود بن شعبان وآخرون، ن: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، دار الحرمين – القاهرة، ط: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.
٢٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، ن: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط: الأولى – ١٤١٤ هـ.

٢٤. الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري (ت: ١٣٦٠هـ)، ن: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الثانية، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣م.

٢٥. فكرة إعجاز القرآن الكريم من البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر نعيم الحمصي مؤسسة الرسالة، (د.ط.ت).

٢٦. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ق: مكتب ق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ن: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان.

٢٧. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، ق: عدنان درويش – محمد المصري، ن: مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٨. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (ت: ٧٧٥هـ)، ق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، ن: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

٢٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، ن: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة – ١٤١٤هـ.

٣٠. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، ق: عبد السلام محمد هارون، ن: دار الفكر، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٣١. المغني لابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي (ت: ٦٢٠هـ)، ن: مكتبة القاهرة، ط: بدون

طبعة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.

٣٢. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، ق: صفوان عدنان الداودي، ن: دار المعرفة - بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ.

٣٣. مقاصد الحج عبد الرزاق بدر د ط ت .

٣٤. مقاصد الحج في القرآن الكريم، عادل بن علي الشدي، مدار الوطن للنشر - الرياض، ط:١، ٢٠١٠م.

٣٥. مقالات النفيسة في الحج دكتور محمد. موسى الشريف دار الأندلس جدة ط١ ٢٠٠٠.

٣٦. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، ن: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: ط الثالثة.

٣٧. الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - الكويت، ط: (من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ)، ط الثانية، دار السلاسل - الكويت.

٣٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، ن: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٣٩. وقفات تربوية من خلال آيات الحج في كتاب الله تعالى دكتور محمد العواجي أستاذ الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، دار الميمنة، ط: ١، (د.ت).

ISSN: 2075 - 2954 (Print)